العدد (4110) السنة الخامسة عشرة - الأحد (14) كانون الثاني 2018
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

هل من تحوّل في طبيعة الأدب؟

ياسين طه حافظ

يبدو سؤال العنوان مشروعاً ، وأن ثمة مسألة لم يفكر أحد بحل لها. فقد اتخذ الأدب سياقاته في التعبير واعتدنا على موضوعات يهتم بها تكاد تكون هي نفسها عبر الأزمنة إلا تغيراً في النسب واختلافات زوايا النظر للموضوعات المتداولة ومدى عمق التناول ونضجه. والحقيقة إني اقرأ انتباهات عن هذه المسألة من علماء الاجتماع والمؤرخين الثقافيين لا من الكتاب أو الأدباء، شعرت بضرورة الكلام في هذا والاشارة الى ما قالوا .. أكيد إن الفلسفة أسهمت في تطور مضامين الأدب ومساراته كما فعل الدين ذلك وما يزال نفوذ الاثنين و تأثيرهما وما يزالان عاملين فاعلين في التفكير الأدبي.

ديكارت

افلاطون

ماركس

غير اننا نواجه تناقضاً مثيراً، ذلك إن اتساع أثر العلم في حياتنا وأثر العلم في اتجاهات التفكير والوعي لم يجد له تعبيراً مهماً وواسعاً كما يجب في الفنون الأدبية. فالجانب العقلاني و المنطقي للانسان ، غير واضح بتعبيراته العلمية والتكنولوجية ولا يشغلان إلا حيزاً أدبياً ضئيلاً وشواهده قليلة وكأن العلوم كلها، بما فيها ما يخص بيولوجيا الإنسان وفضاءات عيشه، لا تعني شيئاً وإن الأدب مخصص والى الأبد الى موضوعات أخرى. المتوقع أن يكون الأدب، كما يقولون ، مرآة عصره. لكن هذه المرآة غير مبالية بملايين الناس الذين يبذلون جانباً كبيراً من حياتهم مهتمين بتكنولوجيا العصر الذي يعيشون فيه. إن ما نشهده من تغلغل العلم ومنتجاته الى غرف البيوت، بل الى وفي الاجسام و أعضاء الجسم الداخلية، يجعلنا نستغرب قلة اهتمام الأدب بالمديات والتحولات والنتاجات العلمية وما تعد به العلوم من تغير في الحياة.

بعضهم يفسر ذلك "بأن البشر يهتمون بالعواطف أكثر من اهتمامهم بالعقل . وقد تناولت الاعمال العظيمة في الادب والدراما والقصص الجوانب العاطفية وجوانب العنف في الطبيعة البشرية وهي الشيء نفسه نراه اليوم في الصحافة الحديثة، فـ "الاخبار" المهمة هي الاخبار السيئة، بعضها مفجع وبعضها مخيف وبعضها شائن أو صارخ وبما يشبه الافزاع او التحذير. أما السلوك المنطقي، العادي الهادئ، فلا يعد أخباراً مهمة، وهي ليست أخباراً أصلاً.." ونرى اليوم في الفضائيات إن اخبار الهجوم والحرائق والتوترات الدولية والفضائح الاخلاقية هي مادة الصحافة اليومية وهي وراء المبيع بالنسبة للصحف. لكننا عملياً نرى الناس قد توافقوا مع إشكالاتهم الاجتماعية وألفوا معدّاتهم وآلاتهم وما في السوق والصيدليات من أجهزة ومواد وانهم في معايشة تبدو طبيعية وليست غريبة مع العلوم ونتاجات التكنولوجيا وإن الناس يكسبون عيشهم ويؤدون أعمالهم بهذه الاجواء لكن الأدب يوجه تأثيره وأضواءه لعواطفهم وانفعالاتهم وتقاطع مصالحهم وشؤونهم الاجتماعية، وكأن العلم شأن لغير القراءة الادبية". وان للأدب موضوعاته الأثيرة والدائمة. لا يردُ العقل في الأدب الا مولّداً للصراعات او لإحكام الحبكة او العقدة في القصص والمغامرات .

وصل الأمر حداً أن بعض دارسي الأدب حين يواجهه تحليلاً علمياً في منتج أدبي يراه منطقه غير مستساغة أو غير سالكة، أو ليس مكانها في هذا الكتاب، حتى لو كانت تؤدي مهمتها الأدبية ايضاً. القصص العلمي كانت محاولة ولكنها ظلت معزولة بصفتها العلمية. وإنها صارت ادباً فقط لإنها مثيرة للعواطف أو للعنف أو الأسف وهي موضوعات الأدب المعروفة.

السؤال الآن: كيف يمكن للأدب اليوم التعبير الكامل عن كافة ما يهم الناس، وان نغيّر الاهتمام أو نزيده بانعطافة مهمة الى موضوعات ليست من اهتمامه المعتاد وألا يظل ناس الأدب ، جل اهتمامهم بالحب والكراهية والعنف والاثام الاخرى و انثلامات الفضائل والصراعات العامة في الطبيعة البشرية؟ لا نريد تكنولوجيا صلبة أو صرفة ونحن نقرأ أدباً ولكننا نريد أدباً لا يستثني عالما نحن نعيش فيه وان يظل اهتمامنا حصراً بأشياء قديمة ورثناها وكأن الذي جاء غريباً يجب أن يظل في غربته . بكلام آخر نريد أدباً خصباً بغنى وخصب العصر. يجب ألا يكف تطلّعنا الى ايجاد صيغ أدبية؟ الى أشكال أدبية مناسبة لما في العالم الواقعي اليوم. طبيعة العلوم واتساع وضخامة وجود التكنولوجيا في الحياة لا يمكن أن يظلا بلا تعبير أدبي عنهما. لا نريد اقحامهما في الادب الانساني الجيد ولكننا نريدهما كما الفلسفة وكما الدين ونحن نعرف ذوبانهما ونعرف اشعاعهما فيما نقرأ من أدب جيد.

جرت محاولات تغيير ولكنها كانت ضمن الثقافة الفنية. لسنا ضد التجريد مثلا. هو إحدى المحاولات الجادة، او إحدى المغامرات في التعبير عن الأقصى والابعد. لكنني لا أظن التجريد اليوم هو الأهم او إنه أفضل من محاولة في الكتابة جديدة باسناد الروح العلمي" وبحضور الاثارات او الاقتدار التكنولوجي .. الازدواج وحضور الاهتمامين ليسا غريبين في تاريخ الأدب. افلاطون الفيلسوف له تعاليم عقلانية و هيجل وماركس صانعا ايديولوجيات لكن لا أحد يستطيع نكران مهاراتهما التأملية ومعرفتهما بمستويات الوجود. كما أن اختراع الهندسة التحليلية جاء أصلا من الفكر الفرنسي وديكارت هو الذي اسمى هذا العلم بـ الفن العظيم Ars Magna وأنه هو قاعدة كل الفنون والمتحكم فيها. نعم هذه نحن أبداً ما قصدنا جعل العلم واسطة وما اردناه قسراً لتغطية الحدث أو الشخوص، ولا نجهل ما يمكن أن تكون بدايات محترمة من رحلات جنيفر الى فرانكشتاين الى آلة الزمن لـ هـ. ج. ويلز. ثم قصص الخيال العلمي التي وظفت جوانب علمية وتكنولوجية مهمة لكنها أكملت الجوانب الباقية والاكثر تأثيراً بالمخلوقات المرعبة لتعود الى مهمة الأدب الاعتيادية الاولى وهي العواطف والانفعالات والخوف ومشاعر الفقد والخسران. ما أردنا هذا ولا أردنا الشخوص الآليين الخارقين أو ذوي القوى الغامضة. نحن نتحدث عما هو أهم وأوسع . نريد أن يشكل العلم بعضاً منسجماً وطبيعياً من المادة الادبية الانسانية، ويظل الشخوص طبيعيين والحياة كما هي حياتنا.

نريد انعطافة تجعل الادب الحديث أدباً معاصراً، مكتمل المعاصرة ويمثل حياتنا كلها. في الحياة مؤثر، يمنح طعاماً دفئاً ويصنع طرقاً وأسرّة ووسائط نقل ويمكننا من رؤية الكون ويغير حياتنا يوماً بعد يوم. الادب يعرف هذا ولكن لايتبناه ولا ادخله في عالمه ليكون من مكونات جسد الادب والا تظل العواطف هي السائدة الحاكمة والعقل على مبعدة نخشى إذا اقترب ان تفسد الكتابة! والغريب إن قاموس اوكسفورد الوجيز Concise Oxford Dictionary يعرّف قصة الخيال العلمي بـ "انها قصة خيالية تستند الى اكتشافات مفترضة او الى تحول في الظواهر غالباً ما تحدث في رحلات الفضاء والحياة على الكواكب ... الخ . إذاً هي خيالية وهي اكتشافات علمية مفترضة Postulated وهكذا ابتعدت عما نحن نسعى إليه. نحن نتحدث عن حياة واقعية جد واقعية وعن عصر هو عصرنا. بقي هل نستطيع أن نحدث تحولاً في النسيج الادبي، في مكوّنات المضمون الادبي أم لا نستطيع ؟ هذا هو السؤال..

المتنبي يضيّف نادي القراءة الكربلائي

متابعة المدى

ضيفت مجموعة الثقافة هي الحلّ في شارع المتنبي أعضاء نادي القراءة في كربلاء ضمن أصبوحاته المختلفة التي اهتمت بتنوع النشاط وتلاقح الفعاليات ما بين المتنبي والمحافظات العراقية المختلفة

الأصبوحة قدمها الروائي حسن البحار الذي تحدث عن أهمية أن يتولى الشباب مسؤوليات نشر الوعي والثقافة والأهم من ذلك أن يكون هذا العمل مقروناً بالقراءة التي تعاني من تراجع ملحوظ في عدد القراء في العراق ويعد نادي القراءة في كربلاء واحداً من المنظمات التي تهتم بهذا الجانب. وقد كون له مقرا وتمكن خلال أقلّ من عام واحد من تفعيل دوره الثقافي سواء بإقامة العديد من الأماسي الثقافية او من خلال تفعيل المكتبة التي تم إيجادها داخل مقر النادي والذي ساهمت فيها دور النشر والأدباء العراقيين بمجموعة من الكتب لتكون مرجعاً مهماً لأعضائه وغير أعضائه

ثم تحدث أعضاء النادي عن كيفية انبثاق النادي ومجالات التعاون مع الجهات الاخرى والدعم الذي وجدوه من أدباء المحافظة وخارج المحافظة الذين تجشموا عناء المجيء الى المحافظة وإقامة الأماسي والتبرع بالكتب الكثيرة وليس بكتاب واحد... ثم أوضحوا وأكدوا على أن ناديهم هو تجمع ثقافي عام (مستقل) في كربلاء يهتم بنشر الثقافة والمعرفة.

قناديل

لطفية الدليمي

أيّ مستقبلٍ ينتظرنا؟

عندما اقرأ وأترجم كتبا متخصصة بالثقافة وعلم المستقبليات والرواية العالمية تحديداً أنتبه إلى أن معظم اهتمامات كتابنا وساردينا وباحثينا تركزعلى استحضار خزين الذاكرة ومعطيات الماضي ويندر أن نجد لمحات عن رؤى تتعلق بمستقبلنا الانساني.

شغلني هذا الأمر طويلاً وأعادتني إليه قراءتي بداية عامنا الجديد (٢٠١٨) لكتاب ممتع حرّره البروفسور الفيزيائي العراقي جيم الخليلي ، بعنوان (ماذا بعدُ ؟ : ماذا يمكن للعلم أن يخبرنا بشأن مستقبلنا المدهش) .صدر الكتاب في شهر تشرين أول (أكتوبر) ٢٠١٦ وضمّ مساهمات لنخبة متميزة من العلماء والمهندسين والخبراء ذوي الرؤية العالمية في حقول معرفية محددة تخص عالمنا ، وتميز هؤلاء المساهمين خصيصة أصبحت علامة فارقة للمشتغلين في الحقول المعرفية العلمية والتقنية والانسانية – تلك هي ميزة شغف البحث في تخوم المعرفة ، ومحاولة التعشيق الحيوي بين تلك الحقول المعرفية بصيغة دراسات بينية متداخلة interdisciplinary ، إضافة لاهتمامهم الشامل بمستقبل النوع البشري والبيئة الحيوية التي تعيش فيها الكائنات الحية ضمن علم المستقبليات Futurology الذي شهد – ولايزال يشهد في يومنا هذا – قفزات كبيرة من التقدم الهائل .

وأذكر انني قرأت في التسعينيات كتاباً بعنوان (صور المستقبل العربيّ) أسهم في كتابته أربعةٌ من المتخصصين العرب في حقل الدراسات المستقبلية والتنمية التقنية والإقتصادية ، وترك الكتاب في نفسي أثراً عظيماً لايمكن تجاوزه ؛ إذ كان العمل الأوّل الذي رأيت فيه توظيفاً دقيقاً لما يسمّى بأدوات التحليل الكمّي واستقصاء المتغيرات المتحكمة بالنشاطات البشرية في شتى حقول النشاط الإقتصاديّ ، ولأهمية الكتاب ظهرت نسخة منه باللغة الإنكليزية ؛ مما يشير بوضوح إلى أن المؤلفين سعوا لمخاطبة العقل الإنساني والعقل العربيّ سواء بسواء ، ومنذ قراءتي لذلك الكتاب بدأت أتابع حقل الدراسات المستقبلية بشغف القارئة وفضول الروائية وتنقيباتها .

هناك كما يعلم المتخصصون بعلم المستقبليات ، الكثير من الدراسات المستقبلية الحديثة ، وقد تُرجم بعضها إلى العربية ، ولم أنس كتابا قرأته بعنوان (العالم بعدَ مائتي عام) من سلسلة كتاب عالم المعرفة في ثمانينيات القرن الماضي وهو من الكتب الاستثنائية التي قدمت رؤى إستشرافية مثيرة بشأن أحوال عالمنا المستقبلي ، ومثله أيضاً كتاب (عالمنا المشترك) الصادر عن السلسلة ذاتها وهو من منشورات منظمة الأمم المتحدة للبيئة ويركّز – كما يفصح عنوانه – على الجوانب البيئية المرتبطة بالنشاطات البشرية وتأثيرها المتوقّع على كوكب الأرض في العقود القادمة .

ثمة أمر تعنى به الدراسات المستقبلية يختصّ بإقتصاد المعرفة وضرورة تخصيص نسبة مالية محترمة من الإنفاق الحكوميّ العام للنهوض بهذا الجانب التعليمي الذي يعوّل عليه في تطوير كفاءات بشرية تجيد التعامل مع الفعاليات التقنية – الاقتصادية المستقبلية التي ستحمل لواء البشرية في الفتوحات المعرفية الخلاقة عندما لاتكون هناك حكومة تعتمد الفوائض الريعية في الإنفاق على مجالات توظيف غير منتجة.

لقد خسرنا الكثير من فرص الحاضر ولم يبقَ لنا الكثير لنخسره في سياق سباق عالميّ مستقبلي لامكان فيه للمتخاذلين أو المنكفئين أو المرتكنين على أنساق متهالكة عتيقة ثبت عجزها وبطلانها .

ولايبدو غريباً على واقعنا المنشغل بسياقات الماضي – حياة وثقافة وفعاليات – ندرة الكتب التي تتناول الدراسات المستقبلية في منطقتنا العربية ؛ وربّما يكون كتاب البروفسور الخليلي – وبضعة كتب أخرى معه – دفقة ضوء في ظلمة واقعنا الراكد تقودنا نحو آفاق مستقبلية لأحد يمتلك القدرة على معرفة مآلاتها.

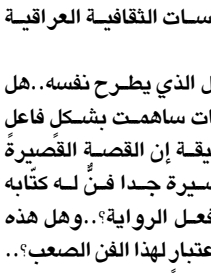

هناك كما يعلم المتخصصون بعلم المستقبليات ، الكثير من الدراسات المستقبلية الحديثة ، وقد تُرجِم بعضها إلى العربية.

مسابقات القصّة القصيرة وردّ الفعل الإبداعي

علي لفتة سعيد

شهد العراق خلال عام 2017 تحديدًا، مسابقات عديدة للقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا وكأنها ردة فعل على تسيد الرواية على المشهد الثقافية أو إن هناك من يريد القول إن القصة حاضرة وإنها قوية وإن عدد كتابها في تزايد مستمرٌ وإنها الفن السرديّ الأصعب في التكثيف والايجاز.

فقد أقيمت مسابقة القصة القصيرة في البصرة من قبل رابطة مصطفى جمال الدين وشارك فيها أكثر من 100 قاص من مختلف محافظات العراق..مثلما شهدت مدينة النجف مسابقة للقصة القصيرة جداً أقامها اتحاد الأدباء هناك وشارك فيها 76 قاصًا عراقيًا.. وكلّ قاصٍّ شارك بعشر قصص قصيرة جدا. وكذلك كانت هناك مسابقة القاصة سافرة جميل حافظ أقامها اتحاد الأدباء والكتاب في العراق وشارك فيها أكثر من 93 قاصًا من كلّ المحافظات.. وأعلنت قبل أيام العتبة الحسينية في كربلاء عن نتائج مسابقتها للقصة القصيرة والتي شارك فيها 50 متسابقاً نصفهم من النساء ومن أربع دول عربية.. فيما أعلنت وكالة خبر الإعلامية، بالتعاون مع البيت الثقافي في ذي قار، ونقابة الصحفيين العراقيين فرع ذي قار، عن انطلاق مسابقتها الدولية الثالثة، للقصة القصيرة جداً والتي سيتم الاعلان عن نتائجها في شهر مارس / آذار العام المقبل. فضلا عن إعلان نتائج مسابقة أقامتها رابطة الثقافة هي الحل في شارع المتنبي وشارك فيها العشرات من كتاب القصة العراقيين

قد لا يبدو الأمر محض مصادفة أو إنه فقط ردّة فعل، وقد يبدو إنه يهدف الى صناعة جمالٍ وحضارة.. وربما أيضاً المسابقات من مثل هكذا فئات أدبية تختلف كليًا عن المسابقات الشعرية التي تنتجها المهرجات العديدة التي يشهدها العراق بدءًا من مهرجان المتنبي ومصطفى جمال الدين وكميت والجواهري والواسطي وغيرها من المهرجانات الشعرية التي تشهدها أغلب محافظات العراق كونها مهرجانات خطابية وإعطاء فرض واقع على إن المشهد الشعري في عافيته وهو كذلك.

ولكن الأمر ربما يكون غائبًا عن القصة القصيرة، وهي أقلّ حضورًا من الرواية في مؤتمراتها أو ملتقياتها التي يقيمها اتحاد الأدباء المركز العام في بغداد أو ملتقى الرواية التي يقيمها اتحاد أدباء البصرة الذي سيعلن قريبًا عن ملتقاه الثاني.. وإذا كانت إقامة هذه المسابقات للقصة القصيرة تحمل العديد من الأهداف، منها محاولة نفخ الروح في القصة القصيرة التي تعرضت الى الكثير من الانتهاكات النقدية سواء على مستوى اتهامها بالتراجع لصالح الرواية أو المقالات النقدية التي أهملتها وتناولت الرواية بشكل أوسع، وحتى على المستوى الإعلامي الذي بات يسعى لإظهار الإصدارات الحديثة للرواية أكثر من أي جنس أدبي آخر.

إن إقامة هذه المسابقات ربما تعد من قبل القائمين عليها على إنها انعكاسٌ على واقعية القصة ووجودها وفرضية تراجعها تعد غير مقبولة، مثلما هي ردّة فعل أيضاً على الأسماء الأدبية التي تشارك في هذه المسابقات والتي يحصل الكثير منهم على جوائزها ويعلنون عن أسباب مشاركتهم في مثل هذه المسبقات القليلة الجوائز والمحدودة الانتشار.. بمعنى إن القصة القصيرة تعلن عن وجودها من خلال المسابقات أكثر من وجودها من خلال الفعاليات النقدية رغم أن هناك من يقول ان نشر القصص القصيرة في الصحف بشكل يومي ربما يفند فرضية اكتساح الرواية لعالم الأدب، وكذلك ما تقوم به مجلة الجديد اللندنية التي تنشر ملفات عن القصص القصيرة من كلّ الدول العربية ولا يخلو عدد من وجود أكثر من قصة.

بالمقابل هناك فريقان من مؤيّدي ومنتقدي المسابقات.. فالبعض يعدها تنشيطًا للفعل القصصي ذاته وإعلان وجوده، والآخر ينتقد هذه المسابقات على اعتبارها لا تشكّل حراكًا فعليًا لإنقاذ القصة من غياب الترويج والإعلام والإعلان ايضا.. فالناقد الدكتور عمار الياسري يقول إن :

المسابقات الثقافية للقصة القصيرة والقصة القصيرة جداً تعد محاولات أدبية تشتغل على عدة انساق، الأول منها محاولة إنعاش هذا الفن السردي الذي شهد انحسارًا أمام المد الهائل للرواية. أما الثاني هو خلق روح المنافسة بين الأدباء من أجل تنشيط الذاكرة والانفتاح على عوالم التجريب القصصي من أجل تطوير آليات الكتابة التي تشهد تحولات مختلفة بشكل مستمرٍ.. لكن الياسري يشير الى إنّ النسق الثالث يشتغل على منظومة إشهارية للمؤسسات بمختلف تشكلاتها من أجل غايات معينة تصبو لها.

إن هذا القول الذي يجعل من هذه المسابقات وكأنها لا تأتي أكلها لأنها ابنة لحظتها، وتبويبٌ لفعل المهرجان الذي ينتهي بانتهاء زمن إقامته وتوزيع الجوائز.. والناقد عبد الله علي حسن يرى إن القصة القصيرة العراقية تسيّدت للمشهد السردي منذ ستينيات القرن الماضي ولحد التحوّل في البنية الاجتماعية العراقية في عام 2003،حيث تم زحزحة هذه المكانة لصالح الرواية لقدرتها على طرح تمثيل أكبر مساحة لما حصل ويحصل في المجتمع منذ ذلك التأريخ ، ولعل ما أسهم في هذه الزحزحة هو ضعف التعالق التأثيري بين القصة والواقع، ومن محاولات إعادة ثقة المتلقي بما تنجزه القصة القصيرة العراقية هو قيام المسابقات التي تسارعت في العام الحالي 2017 من قبل منظمات ومؤسسات ثقافية عديدة، فضلا عن المكانة التي تمتعت بها القصة القصيرة العراقية في مسابقات القصة التي أقامتها المؤسسات الثقافية العراقية السردي.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه..هل هذه المسابقات ساهمت بشكل فاعل في بلورة حقيقة إن القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا فنٌ له كتّابه ومتلقّيه كما تفعل الرواية؟..وهل هذه المسابقات ردّ اعتبار لهذا الفن الصعب؟.. أم إنها مجرّد مسابقات الكثير منها يمنح مبالغ نقدية لا تسدّ رمقًا، لكنها تمنح شهادة تقديرية تؤكد إن الكاتب قاصٌ فاز في مسابقتها ستكون في أرشيفه وفي سيرته الذاتية؟!.

سعد محمد رحيم

احمد سعداوي